الأنوار

الاثنين ١٤ أيلول ١٩٩٢

هتاف المحبة: المستحيل كان ممكنا

هتفت المحبة يوماً تحدث ابن الانسان :
« لمَ هذا الجفاء والابتعاد ، بالله لا تهجرني » .

أيام وأعوام ، دهور وعصور مضت ، واخرى آتية من خلف سحب المستقبل ، تود لو تقتلع الماضي الى الابد ، وتغرس مكانه مستقبلاً زاهراً .

كل هذا وانت لا تعرف عني شيئاً يا ابن الانسان !

في الماضي السحيق كنت اقطن بين ضلوعك ، في هذا العضو النابض المدعو « قلب » ... وكنت سعيدة ان انبض مع نبضاته ، وارنم مع ايقاعه... وانت كنت تسعد بوجودي ، بوجود دفئي الصامت الهادىء .

كان الواحد منا لا يفترق عن الآخر ، حتى جاء ذلك اليوم الذي بدّل كل الاشياء ، وغيّر جميع المفاهيم ... يوم توّجتَ المادة مليكة على حياتك . ثم نقلتها الى محراب معبدك ، ورحت تتعبد لها كل يوم ، مع إطلالة كل فجر ، ومع غروب كل شمس !

منذ ذلك اليوم ، تغيرت اشياء وتبدلت امور . بَهتَ بريقي بعد ان بدأت تنتزعني رويداً رويداً من قلبك !

ايعقل ان تُهجَّر المحبة قلبها ؟

ايمكن ان تخرج السمكة من الماء ؟

يبدو ان المستحيل كان ممكناً ، وقد صنعت المستحيل ... لقد اخرجتني من مملكتي لتدخل مكانها مليكتك الجديدة ـ المادة !

أما انا فما ازال انتظر !

اشعر بالبرد خارج قلبك الدافىء ... اشعر بصقيع الفراغ يملأ كيانك ... فيما انا جالسة على قارعة الأيام أنتظر ان تعيدني الى نبضاتي ... ان تعيد الملك المخلوع الى عرشه !

ألم تملّ سماع نبضاتك فارغة ، جافة ، باردة ؟.. بل هي صدى دون اصوات من دوني ... وصور دون حقيقة ... او خيالات دون واقع !

ألم تشتق بعد الى دفئي ... الدفء الذي انت رفضته يوماً ، وانت نزعته من كيانك ؟!

اخالك تتوق الى اعادتي الى قلبك . لكنك خائف ... خائف من المصير ، خائف من العقاب ، ومن العتاب !

لا تخف ... كيف للمحبة أن تقسو على قلبها ؟..

كيف للحنان ان يعاقب صالبه ؟..

كيف للدفء ان يعاقب نيرانه ؟..

ألم يشعر قلبك بالفراغ بعد ؟

ألم تشعر بالشوق الى ذاك الشعور الذي اوصلك يوماً الى القمة ؟

فما بالك هجرته وفضلت التدرُّك الى الحضيض ؟..

اتعبتَ من النجاح ام سئمت القمم ؟.. أم انك مللتَ المحبة نفسها ؟

انتظر ... ما زلت انتظر خلف الباب ، خلف القلب ... انتظر ان تعيدني الى حيث الحياة تنبثق مع كل نبضة ... الحياة التي تسري فيك باتت في شوق اليك ! دعني اعود اليها ، دعني اعود الى قلبك .

دنيز منصور